لا . . لم يمت دودايف

عصام العطار

سمعت النبأ الصاعق وأنا أرى وأسمع في التلفزيون إحدى نشرات الأخبار

قطعوا النشرة لنبأ عاجل من وكالة تاس : لقد سقط دودايف صريعاً تحت قصفٍ صاروخيٍّ روسيّ

كان يلتسين أعلن قبل نحو أسبوعين إيقاف العمل العسكريّ في الشاشان ، وبَدْءَ الانسحاب العسكريّ ، واعتمادَ الحلّ السلميّ التفاوضيّ

ولكنهم (يلتسين وعصابته) كذّابون خدّاعون ، لم تتغيّر نواياهم ، ولم يتوقّف عدوانهم ، ولم يَخِـــفَّ قـــصفُهم الوحشيُّ للمدن والقرى ، والرجالِ والنساءِ والأطفال ..

ولم يجد (الشاشانُ) المسلمون في هذا العالم مِنْ أقصاهُ إلى أقصاه مَنْ يقفُ معهم بصدقٍ وجِدّ ، ويقولُ للسفاحينَ الروس : قِفوا فقد تجاوزَ عدوانُكم وإجرامُكم كلَّ حَدّ

بَلْ وَجد الروسُ مَن يحميهم ويساندُهم ويطلق يدَهم في حرب الإبادة ، ويؤكّد كما أكَّد كلينتون قبلَ أيام : أنَّ الشاشانَ جزءٌ لا يتجزّأ مِن روسيا

مِنْ زهاءِ قَرنَيْن والشاشانُ يُحارَبون ، ويُبادون ويُشرَّدون ويُعانون مالم يُعانه شعبٌ من الشعوب

من زهَاء قرنين والعالَمُ يتفرّجُ ويقرأُ ويسمعُ ، ولا يثورُ به دينٌ ولا ضميرٌ ولا إحساسٌ ولا غَيْرَةٌ على الإنـــسانِ وحقوق الإنسان

والعالَمُ الإسلاميُّ المتفكّكُ العاجزُ المستسلم ، لا يجد من البواعثِ الأخويّةِ أو الأخلاقيّة ، ولا من النخوةِ والجرأةِ الأدبيّةِ ما يَرْتَفعُ به صوتُه قويّاً مُجَلْجِلاً في مناصرةِ الإخوان ، ومواجهةِ العدوان

*　　*　　*

سقط دودايف صريعاً تحت القصفِ الصاروخيّ الروسي

أَخُطُّ هذه الكلماتِ المزلزِلةَ كَبُرْكان ، وعيني التي جَفّ ماؤها من زمنٍ طويلٍ يتقاطرُ منها دَمع ، وحزنٌ جـــارفٌ يجتاحني .. حزنٌ لا يُحِسُّ أحدٌ بأكثر منه لفقدِ أخٍ أو ولدٍ أو صديقٍ حميم

لقد خالط هذا البطلُ العظيمُ أرواحَنا وأفكارَنا ، وآمالَنا وأحلامَنا ، في زمنِ المهانةِ والذلِّ الذي نحياه ، والظمـــأِ القاتلِ إلى البطولة والأبطال

سنوات وهذا الرجلُ العظيمُ شامخٌ كنجومِ السماء ، راسخٌ كجبالِ القَفْقاس ، لا يخاف ولا يَهِنُ ولا يستـــسلمُ ، ولا ينخفضُ رأسه الشامخ ، ولا تنكسرُ إرادته الصّلْبَة ، تحت الضغطِ الروسيِّ الرهيب بمختلف الوسائل والأشكال ، وليس له في هذا العالم الماديِّ النَفْعِيِّ المرائي المنافقِ الجبان .. سَنَدٌ إلا الله

وقريبٌ من سَنَةٍ ونصفِ سنةٍ من الحرب الوحشيّة الفاجرةِ الغادرةِ القذرةِ تَشُنُّها القوّةُ العُظمى الثانية ، تُهَدِّمُ بهـــا المدنَ والقرى والبيوت ، وتُخَرِّبُ بها الطّرُقَ والمرافِقَ والْمُنشآت ، وتُقَتِّلُ بها الأطفالَ والنساءَ والشيوخ ، وتشرِّد الناسَ في أسوأِ الظروف والأحوال

الطائرات تَقْصِف

والمدافعُ تَقْصِف

والصواريخ تهوي

والدبابات تقتحم

والأحبابُ الأحبابُ يَتَساقطونَ تحت الرصاص ، ويُدْفنُونَ تحتَ الأنقاض ، أو يَفْقِدون الأيديَ والأرجلَ والعيونَ ، ليعيشوا عاجزين مدى الحياة .. ودُودايف هُوَ دودايف ، إيمانُه هو إيمانُه ، وثباتُه هو ثباتُه ، وثقتُه بالنصرِ هي ثقتُـــه ، وحزنُه للضحايا –وفي جملتهم ولَدُهُ– هو حزنُه ، وحرصُه على السلامِ العادلِ أشدُّ الحرص ، وســـعيُه لـــه أصـــدقُ السَّعْي ؛ ولكنَّ الروس لا يعرفونَ عَدْلاً ولا يَردُّونَ حَقاً ؛ فإذا ذكروا السلامَ والتفاوضَ فَلِخِـــداعِ العـــالمِ وخـــداعِ الشاشان ، أو لِعجزهم عن الانتصار بعدَ هذا الزمنِ الطويلِ والخسائرِ الجِسام ، والضحايا التي فاقتْ كلَّ تقدير

لقد زعموا عندما بدأوا حربَهم القذرةَ أنَّهم سيقضونَ على التمرُّدِ الشاشانيّ وعلى دودايف في ساعات ، وعلـــى أبعدِ احتمالٍ في أيام .. وها هم بعدَ قريبٍ من سنةٍ ونصفِ سنةٍ من الحرب ، يقفونَ عاجزين حائرينَ يُكَلِّلُ رؤوسَهم العارُ لا الغار ..

يا الله ! ما أعظمكم أيها الإخوة الشاشان ! لم يصمدْ شعبٌ كما صمدتم ، و لم يصبرْ كما صبرتم ، و لم يبذُلْ كما بذلتم ..

إنّ قلوبَكم لَتَلُوحُ لي من تحتِ أنقاضِ مدنِكم وقراكم ، وأركامِ مواجعِكم وبلواكم .. ينابيعَ نورٍ وأمل ، تُبَـدِّدُ ظلماتِ اليأس ، وتتحدّى جبروتَ الطاغوتِ والظلم ، ولن ينتصرَ أبداً طاغوتٌ على حقّ ، ولا ظلمٌ على عدل ، ولا شَرٌّ على خير ، وإن طال الزمن وطال ..

« إنّ للباطلِ جَوْلةً ثمَّ يَضْمَحِلّ »

أمّا جوهر دودايف ؛ فقد تَحقَّقَ باستشهادِه انتصارُه النهائي ، و لم يعد هنالك أبداً سبيلٌ إلى هزيمته .. لقد تَحوَّلَ من شخصٍ إلى رَمْزٍ يتجاوزُ حدودَ الزمان والمكان ، وإلى بطلٍ خالدٍ يعيشُ في الذاكرةِ والخيال والوجدان ..

والرموزُ العظيمةُ حيّةٌ باقيةٌ لا تموت ، تعملُ عملَها من وراءِ ترابِ القبرِ وستارِ الغيْب .. تُلْهِمُ دائماً وتُعلِّم بالسيرةِ الباهرة ، والقدوةِ الحسنة

ولن ينسى المسلمون المخلصون الواعون أبداً جوهر دودايف ، ومحمد شامل ، وعبد القادر الجزائـــري ، وعبـــد الكريم الخطابي ، وعمر المختار ، والحاج أمين الحسيني ، وعز الدين القسام ، وأمثالهم من أعلام الرجال الأبطـــال .. جزاهم اللهُ عن دِينهم وأُمّتِهم وبلادِهم خيرَ الجزاء

* * *

ويا أيّها المسلمونَ في أنحاءِ الدُّنيا .. ارفعوا أيدِيَكُم إلى السماء ، وادعوا اللهَ لأخيكم الشهيد دودايف : أنْ يَغفِرَ له ويَرْحَمَه ، ويتقبَّلَ جهادَه وعمله ، ويحشره مع الذين أنعَمَ عليهم من النبيّينَ والصدِّيقيِّن والشُّهداءِ والصالحين . وحَسُنَ أُولئكَ رفيقا .

وَحَدِّثوا أبناءكم ومَنْ حَوْلَكُم في مجتمعاتكم عن دودايف وعن الشاشان ، وجهادِهم الرائع المستمرّ ، على قِلَّـــةِ العَدَدِ والعُدَدِ والنَّصير

حَدِّثوهم عن قُدْرَةِ الإنسانِ المؤمنِ على تحدِّي الطاغوتِ ولو ملأتْ جيوشُه الأرض ، وغطَّتْ أسلحتُه البرَّ والبحرَ والجوّ ، وعن قُدْرَتِه على الوقوفِ مع الحقّ ، ولو وقفتِ الدُّنيا كلُّها معَ الباطلِ ، ولو كانَ وحيداً شريداً لا يملك إلا سلاحَ الحقِّ والإيمان ، والشهادةِ في سبيل الله

وادعوا اللهَ لإخوانِكم الشاشان : أنْ يحفظَ اللهُ عليهم وَحْدَتَهُم ، ويَرعى مَسيرتَهُم ، ويَشدَّ أزْرَهُم ، ويُكْـــرِمَهُم بالنّصر

ولا تَنْسَوا لحظةً واحدةً حقَّهم وحقَّ الإسلامِ عليكم : في التعريف بهم ، وشرحِ قضيّتهم ، وبيانِ حقّهم ، والدعوةِ إلى إنصافهم ومناصرتهم ؛ وفي مساعدتهم مادياً ومعنوياً بأقصى ما تستطيعون

* * *

وسلامٌ عليك يا جوهر دودايف ، أيُّها البَدْرُ الذي غابَ في أحلَكِ الليالي

سلامٌ عليك من أخٍ لك غَريبٍ في عاصمةِ (شارلمان) في ألمانيا .. أخٍ طالما أحبّك وذكرَكَ على البُعْد ، ودعا لكَ ولإخوانِك بظهرِ الغيب

سلامٌ عليكَ وعلى سائرِ (الشاشان) الأبطال

وَواحَزَنَاهُ ! واحَزَنَاهُ ! ثمَّ واحَزَنَاهُ عليك ، بَلْ على أنفسِنا ، يا جوهر !!